بدون الدخول في تفاصيل عديدة، نستطيع التأكيد ان روايات يهوشع الاخيرة تؤكد تعارضها مع النمط الصهيوني. وأكثر من ذلك، انها تؤكد افلاس الصهيونية على المستوى الواقعي المستقبلي. ومع كل ذلك، فان يهوشع لا يزال يؤكد، في اللقاءات والنقاشات والمقالات، انه صهيوني صميمي. لكن صهيونيته تبهت وتفلس في أعماله الادبية الاخيرة. فما الذي يقدّمه يهوشع الى القارىء في كتابه النظري المدعو «لأجل الوضع الطبيعي»؟

«لأجل الوضع الطبيعي»

«لأجل الوضع الطبيعي»[٦] هو مجموعة مقالات هامّة جداً كتبها يهوشع للاجابة عن قضايا الصهيونية والصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. مجمل فلسفة يهوشع الصهيونية تتركّز على نقطة رئيسة هامّة، هي ان الصهيونية هي الحل بالنسبة الى الشعب اليهودي. فلا امكان للقاء يهودي مع أخيه الآخر في «وطن» واحد، الاّ بالصهيونية. الصهيونية، حسب يهوشع، هي العامل الموحّد والجامع بين اليهود في «وطن قومي» يدعى اسرائيل. النموذج على ذلك هو ان ثمّة مرضاً لدى اليهود عامّة، هو حب اليهودي للمنفى. فاليهود من أكثر أمم الارض حباً للمنفى. لذا، رأى يهوشع ان الدواء الوحيد لابعاد اليهودي عن المنفى يتمّ بالصهيونية. فالصهيونية دائمة التجدّد بايجادها الدواء الشافي لحل مرض، أو عقدة، المنفى. من هنا ينطلق يهوشع الى معالجة أزمة المنفى. والأبعد من ذلك، هو قدرة الصهيونية ـ حسب يهوشع ـ على التطوّر والبقاء، وانها العاملَ الرئيس لبقاء اليهودي في «وطنه القومي» وتوحيده.

ان مطاردات وملاحقات يهود روسيا فتحت عيون اليهود على الكثير من الأمور الهامّة، وأهمها قضية العيش بكرامة. الاّ ان الأمر الحاسم في تعجيل ولادة «الوطن القومي» لليهود كانت النازية. بالنازية تحقّقت أكبر أماني ثيودور هرتسل. لقد كتب يهوشع، معلّلاً الامر، بأن اليهود لو كانوا يملكون دولة لهم قبل قيام النازية، فان ذلك كان سيغيّر الكثير.

التبرير الوحيد الذي حمله يهوشع لاحتلال بلاد شعب آخر هو التالي:

- بالنسبة الى يهوشع، لا يحمل الحق التاريخي أية قوة اخلاقية موضوعية، وينقصه التبرير التاريخي في ما يتعلّق بعودة الشعب الى «بلاده» القديمة.
- لكنه يوافق على ان هنالك «حقاً» تاريخياً للشعب اليهودي بأن يحتل قسماً، ولو بالقوة، من «أرض ـ اسرائيل الكبرى»، حسب المفهوم التوراتي، أو من أي بلاد أخرى نتيجة، قوة صدق يسميها «حق ضائقة العيش او الوجود»[٦].

يناقش يهوشع هذين الامرين على نحو موسّع في الفصل المسمّى «بين حقين»، والقصد هو «الحق اليهودي ـ الصهيوني» في فلسطين، وحق الفلسطينيين في بلادهم. ورفض يهوشع قضية «الحق التاريخي» لليهودي في البلاد ـ فلسطين ـ حسب التوراة. فهذا الامر يهمّ اليهودي المتدين فقط، ولا يعطي اجابة شافية، او تبريراً لغيره، سواء أكان يهودياً أم انكليزياً. فكل التبرير التوراتي بـ «حق العودة»، لتبرير الكيان الصهيوني، ليس الاّ وسيلة دفاع واهية ازاء احداث التاريخ؛ فالتاريخ لا يقوم على الاسطورة.

لذا، فان النازية، وعلى نحو سافر، هي التي أسفرت عن عمق أزمة الشتات التي يعيشها الشعب اليهودي؛ وهي التي خلقت أزمة حق ضائقة العيش، التي أعطت «حقاً اخلاقياً» للقدوم والعيش